مزمور ١١٩ – تفاعل قلبي كامل مع كلمة الله

يدعو مزمور ١١٩ إلى التّفاعل مع كلمة الله، وهو تفاعل يشمل العقل والقلب والإرادة. إذ تُوصف كلمة الله بأنها قوانينه وتعاليمه وشهاداته وناموسه وفرائضه ووصاياه وغير ذلك. وكلّ هذه التعابير تُشير إلى كلمة الله. فمهما كانت الإشارة إلى كلمة الله، فإن هذا التّفاعل في نواحي الإنسان الثلاثة هو ما يُنتج التحوّل في القلب.

العقل

يربط العهد القديم العقل أو الفكر مع القلب، فكثيراً ما يرتبط القلب بما نُفكر فيه كنشاطات فكرية. يقول موسى للشعب في سفر التثنية ٢٩: ٤: "ولكن لم يُعطكم الرب قلبا لتفهموا." كما يُخبرنا سفر الأمثال ٢٣: ١٢ أن نُوجّه قلوبنا إلى المعرفة. ووعد العهد الجديد هو قلب لمعرفة الله (إرميا ٢٤: ٧). أي أن هناك ناحية إدراكيّة فكرية في القلب بها نعرف أو نفهم مسألة ما.

يدعو مزمور ١١٩ القارئ ليتعلّم ويفهم كلمة الله، ففي الآية ٧ يتكلم عن تعلّم أحكام عادلة، وفي الآية ٢٦ يسأل الله قائلاً: "علّمني فرائضك." أما في الآيتين ١٢٤ و١٧١ فيُكرّر الدّعوة لتعلّم فرائض الله. وفي الآية ١١ يُخبرنا أن نُخبئ كلمة الله في قلوبنا. إن جزءاً من التّعريف الكتابي للتحوّل هو أن يتعلّم العقل. أما في الآية ١٤٤ فيذهب بعيداً بحيث يخبرنا أن فهم شهادات الله هو من يُعطي الحياة. والكلمتان اللتان تشيران إلى التعلُّم (لامَد) والفهم (بِين) مستخدمتان في ٢٥ آية من أصل ١٧٦ آية.[1]

مما لا شك فيه أن عملية التعليم هي أمر بالغ الأهمّيّة في عملية التحوّل، إذ يُميّز كاتب المزمور الأداة التي يستخدمها الله ويُناشده أن يُعلّمه (الآيات ١١٦، ١٢٥، ١٣٥). فالله هو من يُعلّمنا (يوحنا ١٤: ٢٦؛ ١٦:

[1] الآيات ١٢، ١٨، ٢٦، ٢٩، ٣١، ٣٣، ٣٤، ٦٤، ٦٦، ٦٨، ٧٣ (مرتين)، ٩٥، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠٤، ١٠٨، ١١٧، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٨، ١٣٥، ١٤٤، ١٧١. يُؤكّد مزمور ١١٩ على أهمية التّذَكّر والحفظ في عملية التعلّم، والتي تنتج تحوّلاً في القلب.

١٣)، ويُشرق بنور المعرفة في قلوبنا (٢كورنثوس ٤: ٦)، ويكتب ناموسه في قلوبنا (إرميا ٣١: ٣٣). يستخدم الله المعلومة الواردة في كلمته ويبدأ بتطبيقها في قلوبنا، وهذا ما يخلق الفهم لدى المتعلّم.

ليس هذا الفهم معرفة منفصلة عن المعلومات، وهو ليس مجرّد إدراكٍ فكري لمحتوى كلمة الله. حيث يتكوّن نشاط الفهم، بحسب الفكر العبري، من "توجيه النّفس تجاه شيء ما، يُمكن قبوله ليكون جزءاً من الذات."[2] فليس الحق شيئاً خارجياً عن الإنسان، بل هو شيء شخصي يمكن أن يتشرّبه الإنسان. وهذه وجهة نظر شرق أوسطية عن كيفية التفاعل مع الحق.[3] هذا ما يحدث عندما تقدَّم لنا الكلمة أو أي حق آخر. قد يتمّ هذا بالحفظ أو بتعليمٍ يقدِّمه شخصٌ آخر، يستخدم الله هذه الخطوات ليُعرّضنا إلى حقّه. هذه خطوات مهمة في التعلّم، فالحق الذي نستقبله خارجياً يجب أن يَتغلغل في قلوبنا. وحين فهم أن الله الروح القدس هو المُعلّم، يدعونا الكتاب المُقدَّس لأخذ خطوات لنتعلم أو ننقل هذا الحق إلى قلوبنا.

يوجد رابط مهم بين التّعليم والتحوّل هو عملية التأمُّل، وهو التفكير بعمق والتأمّل في كلمة الله، بشكل فردي أو مع شخص آخر. وربما يمكن أن يساعدنا معلم أو مرشد على التأمّل فيما تعلمناه بطريقة عميقة. إن التّفكير والتأمّل هما الخطوتان اللّتان تنقلان التعلّم من حقّ فكري موضوعي إلى حقيقة مُغيّرة. ويتّفق ذلك مع الفهم العِبري لعملية التعلّم. ويُسمّي مزمور ١١٩ هذه العمليّة بالتأمل والمناجاة واللهج (الآيات ١٥، ٢٣، ٢٧، ٤٨، ٧٨، ٩٧، ٩٩، ١٤٨). فالمعنى هو أن تتأمّل أو تتفكّر أو تعتبر (Sargent 2009, 108). هذا يجعل كلمة الله مُلازمة لنا وداخلية. التأمّل هو العمليّة التي من خلالها تُصبح كلمة الله جزءاً من كياننا. فهي أكثر من مجرد شيء خارجي، إذ هي تَشغل أفكارنا ووقتنا واهتماماتنا. نجد أحد الأمثلة على هذا في الآية ١٥، حيث يقول الكاتب إنه يلهج ويتأمّل بوصايا الله. ويُقارن عمليّة التأمّل بتثبيت عينيه على طرق الله، بحيث يُصبح الكاتب مشغولاً بطرق الله. في وسط المقاومة يتأمّل

[2] Pedersen, Johannes. 1964. *Israel, Its Life and Culture, I–IV*. Oxford University Press, London, UK.

[3] Hofstede, Geert. 2010 *Cultures and Organizations – Software of the Mind*. New York, NY: McGraw Hill.

بفرائض الله (الآية ٢٣). لا يُركّز الكاتب على المقاومة بل على فرائض الله. وفي الآية ٧٨، يشير إلى إن التأمّل والمناجاة هما ردّ فعل الكاتب على من يتّهمونه زوراً. إن التأمّل في ناموس الله هو ما يقضي به الكاتب يومه كله (الآية ٩٧). كما أنه مشغول بمواعيد الله، بحيث يطير منه النوم ليتأمّل بها (آية ١٤٨).[4] وهكذا، نجد أن التأمّل هو خطوة أساسية لطريق الفهم الصحيح للكلمة، وهو جزء من عملية التعلّم العميق.

تعتبر الوظيفة المعرفية جزءاً هاماً في التّفاعل مع كلمة الله، وتشمل الحفظ الذي يعني عدم النّسيان كجزء مهم من عملية التعلم. ونشاط التعليم والتعلّم أمر مهمّ لعملية تَشرّب كلمة الله بهدف التحوّل. وأخيراً، فإن التأمّل في كلمة الله أو تَعلّم الحق حتى يأخذ مكاناً مركزيّا في تفكيرنا أمرٌ مهمّ للغاية في عملية تحوّل حياة المتعلّم. إن العمليّة هي التعليم بهدف الفهم، وهذا ما يسعى إليه الكاتب. فجزء من عملية التعلّم هو التفكير والتمسّك والمراعاة والحفظ والملاحظة. وهذا يقود إلى الفهم وانفتاح العينين والحكمة. وهذه نتائج معرفية للتعليم.

المشاعر والعواطف

يتطرّق مزمور ١١٩ إلى المشاعر والعواطف أيضاً، ويُعبّر عنها بشكل أساسي بالكلمات: المحبة (أهافا) وسروري ولذّتي (شعشعاه). "أولاً، يُركّز النص الكتابي على موضوع الرغبة والمحبة" (Sargent 2008, 81:2:107) يدعونا كاتب المزمور أن نتلذّذ بشهادات الله (الآيات ١٦، ٧٠، ٧٧) ونُميل قلوبنا إلى شهاداته (الآية ٣٦) وأن نُحب وصاياه (الآية ٤٨)، ونشتاق إليها (الآية ٨٢)، ونبتهج بكلام الله (الآية ١٦٢). تُظهِر الاستجابة العاطفية نحو كلمة الله عُمق اختراقها لقلب الإنسان. فمحبة كلمة الله والسّرور بها يجعلانها تتعمَّق داخل قلوبنا بحيث

[4] الآية ١٥: يُلاحِظ أو يُثبّت عَينَيه، وليس مُجرّد القراءة؛ الآية ٢٣: وسط الأُمراء/ الرؤساء الذين تآمروا عليه، يتأمل ناظم المزمور في قوانين وفرائض الله؛ الآية ٤٨: يتأمل؛ ٧٨ مثل الآية ٢٣، حيث يتأمَّل بكلمة الله حتى بعد تعرُّضه للظلم والإساءة؛ الآية ٩٧: يَلهج بها كل النهار؛ ٩٩: التأمل يأتي بالحكمة؛ ١٤٨: يطير منه نومه حتى يتأمل.

تكون مخفيّة أو مخزونة (الآية ١١) في قلوبنا. وهذا يُعاكس فكرة التعلّم السطحي أو مُجرد الاتفاق الخارجي مع كلمة الله.

تذوّق كاتب المزمور كلمة الله فوجدها أشهى من العسل (الآية ١٠٣). كما يُقدّر كاتب المزمور كلمة الله على أنها أفضل من آلاف القطع الذهبيّة (٧٢). وكان ردّه على كلمة الله أنه وجدها لذيذة وحلوة. وهكذا يشتاق الكاتب إلى كلمة الله (الآيات ٤٠، ٨٢، ١٣١)، واشتياقه وصل إلى مرحلة أن نفسه انسحقت أو ذابت بالاشتياق إلى كلمة الله (الآية ٢٠). فكم سيكون التجاوب عظيماً لتعلم كلمة الله بالفرح والابتهاج. (الآية ١١١).

أنتج عمق اختراق كلمة الله في قلب الكاتب محبة عملية، فمحبة كلمة الله تجعل اليدان ترتفعان (الآية ٤٨). كما أنها تُحفّز الكاتب كي يطلب أو يبحث عن وصايا الله (الآية ٩٤)، وأن يتعلّق أو يتمسّك بكلمة الله (الآية ٣١). ليس كافياً تَذكّر كلمة الله أو معرفتها، بل إن الجزء المهم من عملية التحوّل هو أن تتغيّر قلوبنا أو مشاعرنا لترغب كلمة الله وطرقه وتبتهج بهما.[5]

يجب أن يخلق تعليمنا محبة أو رغبة تجاه الله وحقّه، وأن يخترق القلب ويؤثر على مشاعر المُتعلّم. يجب إن يخلق التّعليم المناسب لكلمة الله استجابةً داخلية عميقة، بحيث يشتاق الطالب إلى ما تعلّمه ويُحبّه. نحن نريدهم أن يعتبروا التّعليم حلواً لهم (حتى لو كان حقاً صعب التعلم). وفي النهاية نريدهم أن يقدّروا ما قد تعلموه (مزمور ١١٩: ٧٢). وإذا تمكّنوا من تقديره فسوف يُخبئوه أو يحفظونه في قلوبهم، وسيعتبرونه شيئاً ثميناً ليستخدموه في حياتهم. يخلق التعليم الجيد رغبة واشتياقاً تُحفّزان الطالب على أن يسعى إلى إيجاد طريق للتعلّم. يحفِز التعليم الجيد الطالب ليتعلّق

[5] ١١ خبّأ، ١٤ فرح، ١٦ تلذُّذ، ٢٠ ذابت النفس انسَحَقت من الاشتياق، ٢٤ لذّة، ٣١ التصاق/ تشبُّث/ تعلُّق/ تمسُّك، ٣٥ سرور، ٤٠ اشتهاء، ٤٥ طَلَبَ، ٤٨ (مرتين) يُحب ويرفع يديه نحوها، ٧٠ لذّة، ٧٢ أفضل من آلاف القطع الذهبية، ٧٧ سرور، ٨١ الاشتياق والتوق، ٨٢ الاشتياق، ٩٢ لذّة، ٩٤ يطلب ويسعى وراء بمعنى يسلك طريق أو يقرأ مراراً، ٩٧ يُحب، ١٠٣ أشهى من العسل، ١١١ فرح وابتهاج القلب، ١١٣ يُحب، ١٢٧ (مرتين) يُحب أكثر من الذهب، ١٣١ الاشتياق، ١٤٠ يُحب، ١٤٣ لذّة، ١٥٩ يُحب، ١٦٢ يفرح، ١٦٣ يُحب، ١٦٧ يُحب،١٧٤ يشتاق ويلتذّ.

ويتشبّث بما قد تعلمه، فلا يمكن أن تكون الموافقة العقليّة هي المُحفّز للإنسان. التحوّل الحقيقي يحدث عندما تتغيّر مشاعر المتعلّم ونظام القِيَم والمحفِّزات لديه، فهذا ما ينتج التحوّل في أفعال المرء.

الإرادة

يشمل مزمور ١١٩ أهميّة الإرادة والأفعال الناتجة عن التّحوّل الكتابي، فما نفهمه ونُسرّ به يُنتج أفعالنا. تدعونا الآيات الافتتاحية من مزمور ١١٩ إلى السّلوك في الشّريعة (الآية ١) وحفظ شهادات الله (الآية ٢). علينا أن نحفظها تماماً (الآية ٤)، وعلينا حفظ فرائض الله (الآيات ٥، ٨، ٩، ١٧، ٣٤، ٤٤، ٥٧، ٨٨، ١٠٠). وفي (الآية٦٠) يقول الكاتب إن عمل الله وكلامه فيه يجعلانه لا يُؤجّل، بل يستعجل، في حفظ كلمة الله. فالكاتب يُمرّن إرادته بخصوص كلمة الله. وتراه يختار طريق الله ويضع قوانينه أمامه (الآية ٣٠)، ثم تقول الآية ٣٢ بإنه علينا أن نجري في طريق وصايا الرّب.

تَشرُّب وصايا الله يُمكّن الكاتب ويشجعه بأن يتكلّم أمام الملوك بدون خجل (الآية ٤٦). كما تعلِّمنا الآية ١١٢ أن نعمل بكلمة الله. أما الآية ١٤٦ فتوصينا بأن نلاحظ وصايا الله. لقد صار الكاتب مُعلّما لشهادات الله (الآية ٧٩)، وجعله ناموس الله يتحمّل المذلّة (الآية ٨٤) ويصمد فيها (الآيتان ٦٧، ٩٢). كلمة الله هي مصدر تقديسه (الآيتان ١٠١، ١٢٠)، فهو يخاف الرّب (الآية ١٢٠) ويغار على ناموس الله حتى يُحفَظ (الآية ١٣٦، ١٣٩). فقد حفّزت محبة وصايا الله الكاتب على الاستيقاظ مُبكراً والسّهر مُتأخراً ليطلب الله ويتأمّل في وعوده (الآيتان ١٤٧، ١٤٨). ويُمكننا أن نرى بوضوح من مثال الكاتب أنه يجب علينا أن نكون عاملين بكلمة الله، لأن المعرفة الصحيحة لكلمة الله تقود بالضّرورة إلى العمل.